

خرافة تحديد النسل

الكاتب: محمد الغزالى



الانفجار السكاني وإمكانات التحكم

قرأت مقالاً عن " الانفجار السكاني وإمكانات التحكم " نشرته صحيفة الأهرام يوم الجمعة 2 / 1 / 1970 ولا أكون مغالياً إذا وصفت هذا المقال بأنه صائب الفكر عميق النظرة مملوء بالحقائق الجديرة بالاحترام.

ولقد لفت عدداً من الدعاة المسلمين وعلماء الدين إلى هذا المقال لأنه يصور في نظرى عودة أفكار سبق أن كتبتها ووقفت عندها، ورأى جمهور المسلمين أنها التعبير الحق عن أحکام دينهم ونهج حياتهم، وإن كان البعض قد مارى فيها مراء يعلم الله بواعثه!

والكاتب بعد مقدمات جيدة حول مشكلة النسل يقول: إن تفسير الزيادة السكانية بغير التخلف الاقتصادي، أو رد هذه الزيادة إلى عوامل أخرى مثل غلبة الغريزة الجنسية، أو وجود الأديان المحبذة للتناسل، أو عدم المبالاة بالرقى.. يدخل في باب التضليل العلمي!

وقد استخلص هذه النتيجة الصادقة من جملة ملاحظات علمية واجتماعية جديرة بالتأييد الحار.

صيحات التشاؤم

ويعجبني أنه استهجن صيحات التشاؤم المفتعلة التي تخصص في إرسالها بين الحين والحين نفر من مقلدى الأساليب الأمريكية في الإحصاء الجزئي والحكم العام، وهي أساليب تخدم سياسة معينة من البيانات والبلاغات التي يتبرع بها نفر من نجوم الرأى الأمريكيين يزعمون فيها أن العالم قد بلغ في مسيرته نحو كارثة " اللاعودة ".

بسبب الزيادة المفرطة في سكانه، تلك الزيادة التي نشأت من أن أقطار العالم الثالث - الذي يضم عشرات من الدول النامية أو بتعبير آخر عشرات من الدول

المتخلفة - لم تكبح جماح شهواتها الجنسية، ولم تستجب لدعوة المندوب الأمريكي إلى "تخطيط" أو تحديد النسل الذي رأى سيادته أنه الطريق الوحيد لحسن المشكلة السكانية..

بل لم يستح نفر من قادة الرأي في الولايات المتحدة أن ينادوا جهراً بضرورة استخدام القسر في الحد من هذا التفوق العددي للمراتب السفلية من البشر (!) بالقدر الذي يمنع دفع المراتب الأعلى إلى الخلف!

ولما كانت نسبة الأولاد تكاد تكون ثابتة من عشرات السنين فإن الزيادة المحدورة نشأت للأسف من قلة الوفيات بسبب ارتفاع المستوى الصحي في أرجاء العالم.

والحل؟

تخفيف عدد السكان

إنه عند أرباب الثقافة الغربية الرفيعة عدم مقاومة العلل بين شعوب لا تجد الأكل، وترك الأمراض تفتكت بهذه الأجيال الوافدة فإن إقحام طوفان من الأطفال الجائع على اقتصاد مضطرب يهدد بكارثة! لكن كيف يوصف هذا التصرف؟

إنه تصرف "إنساني" عادي (!) لأنّه يساعد الطبيعة على انتخاب الأصلح وإبقاء الأقوى!

بل إن هذا التصرف يتفق مع أرقى ثمرات الفكر الإنساني، ألم يقل أفلاطون في جمهوريته الفاضلة أنه يجب قتل كل طفل يزيد عن العدد الضروري؟ ونحن قد وصلنا بالفعل إلى ما يزيد عن العدد الضروري.

ويستتبع الفكر الغربي أحكامه على الأمور، فيقول الدكتور "هوایت ستيفنز" أحد خبراء علم الاجتماع: إن يوم القيمة سيوافق 13 / 11 / 2026 لأنّ المجاعة العالمية في هذا اليوم ستقتضي على الجميع، هكذا يقول الدكتور الألمعى بعد حساب وفق قواعد علم الاجتماع لا قواعد علم التنجيم!

وبناء على هذا الهوس الإحصائي يدعو الأمريكيون إلى التعقيم الإجباري وإلى

فرض نظام صارم لتحديد النسل، وإلى دعوة الأمم المتحدة إلى إجراء ما كى ينخفض عدد الأولاد بين العرب والزنوج والهنود وأشباههم وهم سواد العالم الثالث.

أمريكا والعالم الثالث

ويلاحظ الأستاذ كمال السيد - كاتب المقال - أموراً ذات بال منها أن الولايات المتحدة تنفق 70 ألف مليون دولار على معدات القتال وأن شركاتها المحتكرة تعامل شعوب العالم الثالث بنهم مستغرب لا مكان معه للرحمة بهؤلاء الجياع المساكين.

ويقول " وهناك صيغة شائعة في أمريكا الجنوبية فحواها : " أن خمسة من سكانها يموتون جوغا كل دقيقة في حين أن الشركات الأمريكية العاملة بها تكسب خمسة آلاف دولار كل دقيقة أى ألف دولار من كل ميت .. ! ومع شعورنا بأن الكاتب يساري النزعة إلا أنها نعرف أن المساعدات الأمريكية مغشوشة النية سيئة الهدف فقد توزع على الأطفال مقادير من الألبان والجبن، ولكنها تفرض على بيتهم قيود الفقر الأبدي إلى هذا النوع من المساعدات. وبرامج النقطة الرابعة توزع المواد الاستهلاكية وحسب على الأمم المختلفة وتمتنع امتناعاً غريباً عن تصنيع البيئة وإعانتها على أن تخدم نفسها بنفسها، وتستغل مواردها الوطنية بقدراتها الخاصة !

كأن شعوب هذا العالم الثالث - كما تسمى - ينبغي أن تظل مسلولة المواهب مكسوفة العجز، لا تستطيع الانتفاع بما لديها من خبرات، وعليها - بعد - أن تسمع الحكم بأن التعقيم الإجباري واجب، وأن تحديد النسل فريضة وإلا قامت القيامة بعد كذا من السنين !

ويتلقى هذا الكلام بعض قصار العقل فيطيرون به هنا وهناك ينذروننا بالويل والثبور وعظائم الأمور فإذا حاولنا التفاهم معهم قالوا: إنكم رجعيون تائرون عن مقررات علم الاجتماع، وأخطار يوم القيمة الذي سيجيء حتماً من زيادة السكان !

جذور المشكلة في العالم الثالث

ولنتناول الآن صميم المشكلة. هل حقاً أن بلاد العالم الثالث لا تكفي حاجات أهلها وبالتالي لا تتسع لمزيد من الأفواه التي تطلب القوت والأجساد التي تطلب الكسوة؟

تلك هي الأكذوبة الكبرى التي يضخم الاستعمار صداتها ويزعج الدنيا طنينها! إن أقطار العالم الثالث مشحونة بخيرات تكفي أضعاف سكانه، بيد أن هذه الخيرات تتطلب العقول البصيرة والأيدي القديرة.

ولو رزقت هذه الأقطار المنكودة إنسانية نزيهة تستهدف إيقاظ الملوك الغافية والحواس المخدرة، وتطارد الخمول والوهن وتجند القدرات والخيرات، وتمنع التظالم والترف، وتضرب سياجاً منيعاً حول مصالح الشعوب يرد عنها غوايل الاستعمار بجميع أنواعه لكيانت هذه الشعوب تحيا في رغد من العيش تحسدتها أقطار الغرب عليه..

ليست المشكلة اقتصادية كما يزعم الخباء من المستعمرين، ومقلدوهم من الصياغين الذين يهتفون بما لا يعرفون.

الفقر فقر أخلاق وموهاب لا فقر أرزاق وإمكانيات!

- لماذا يكون المولود القادم أكالاً لا شغالاً، مستهلكاً لا منتجًا، عبيداً على الحياة لا عوناً على الحياة؟

- لماذا تهون الإنسانية في شأن هذه الأجيال الوافدة فيكون وجوده مبعث قلق لا مثال استبشرار.

إن الجهد المادي والمعنوي التي يبذلها المتشائمون لقتل هذه الأنفس أو للحيلولة دون وجودها لو بذلت في تصحيح الأخطاء الاجتماعية وتقويم الانحرافات العقلية لكيانت أقرب إلى الرشد وأدنى إلى الغاية!

ولكن الاستعمار الأناني الشره يريد التهام كل شيء لنفسه وحده، بل الأنكى من ذلك أنه يعترض طريق كل نهضة تصحح الأوضاع كي تبقى الأمور كما هي ويبقى منطقه السقيم في علاج الأمور.

على أن تخلف العالم الثالث ليس علة أزلية ولا أبدية فقد كان الأوربيون والأمريكيون أسوأ حالاً منذ قرون تعد على الأصابع، وكانت الخرافات تفتكت بعقولهم فتك الأدران والعلل بأجسامهم، فإذا صعدوا في سلم الترقى وهبط غيرهم بعد رفعة أو بدأ لأول مرة يخطو على درب المدنية فلا معنى لل الاحتياط عليه والتشفي منه.

" كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم " والأمر لا يستدعي أكثر من تغيير الظروف المؤثرة في أحوال المجتمعات فهناك مكان ينبع العز - كما يقول المتنبي - ومكان ينبع الذل. وهناك آخر يوقظ العقل أو ينمييه .

والمعتوهون الذين يصرخون جزعين: قفوا نسل الأرانب حتى لا تقول الساعة، أو حتى ترقى الأمة.. لا يعلمون أن العالم الثالث لن يرقى ولو فقد تسعة أعشار عدده ما بقيت ظروف النفسية والفكرية جامدة على أوضاعها الحالية. ونعود مع كاتب الأهرام لننظر الواقع حيث يقول:

" إن موارد العالم خصوصاً موارد البلاد المتختلفة ما زالت تتفوق كثيراً زيادةً في عدد السكان، فالفائض الاقتصادي المحتمل يمكن تحويله إلى ضروب من النشاط المنتج بدلاً من أن يذهب إلى جيوب المرباين والوسطاء وملوك الأرض أو يتبدد في وجوه السرف المختلفة..

" وهذا الفائض هو ما يعرفه الاقتصاديون بأنه الفرق بين الإنتاج في ظروفه الطبيعية وبين ما يعد استهلاكاً ضروريًا للجماعة المنتجة، ويقدر هذا الفرق بنحو 20% من الإنتاج القومي، وهو يكفل عند استثماره زيادة سنوية في الدخل تبلغ 8%， وهذه الزيادة تكفي بل تفيض عن متطلبات الزيادة السكانية ."

الفقر الواقع أو المتوقع لا يعود إذن إلى علل طبيعية بل إلى سوء تصرف واضطراط إدارة، أو كما يقول الاقتصادي الأمريكي المشهور " بول باران " : " إننا يجب أن ندق ناقوس الخطر لأن القوانين الأبدية في الطبيعة قد جعلت من المستحيل إطعام سكان الأرض بل لأن النظام الاقتصادي الاستعماري يحكم على جموع كثيفة من الناس - لم يسمع بضخامتها من قبل - أن تعيش

فى كنف الفاقة والتدهور والموت قبل الأوان"!
ثم أنهى الكاتب كلمته قائلاً: "إنه لا حل لمشكلات التخلف ومن بينها ضغط السكان على الموارد إلا بتنمية بلدان العالم الثالث لثرواتها، ومضاعفة اعتمادها على نفسها.. ثم على القدر الميسور من المعونات الأجنبية المنزهة".

لقد قررت هذه الأحكام تقريرًا في كتابي "من هنا نعلم" المطبوع من ربع قرن، ولذلك فقد انشرح صدرى عندما قرأت هذه الأيام ما يزيد الحق وضوحاً..

وما يبدد ضباباً كثيراً نشره في أفق الحياة العامة أقوام قصار الباع طوال الألسنة، وإنني - إذ أؤكد المعانى الآنفة - أوجه كلمة إلى نفر من المحدثين باسم الإسلام أساءوا إلى حقائقه مراراً وهزموه في مواطن كثيرة..

المصدر:

محمد الغزالى، قذائف الحق، ص 266

الكلمات المفتاحية:

#تحديد-النسـل #قذائف-الحق #الغزالـى

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.